بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذة: دلولة خلدون

السنة الثانية: دراسات أدبية

المحاضرة رقم 03:
الملكات اللغوية 1: فهم اللغة \ إنشاء اللغة

1- ملكة فهم اللغة:

إنّ الطفل الذي يولد أصمّ أو يفقد القدرة على الاستماع في سنّ مبكرة، يفقد القدرة على الكلام، فمهارة الكلام تتوقف على مهارة الاستماع والفهم، كما أنّ القدرة على القراءة والكتابة تتوقف على القدرة على الاستماع والكلام، وعلى هذا يمكن ترتيب فنون اللغة حسب نموّها "الطبيعي" لدى الأطفال الأسوياء هكذا:

الاستماع (الفهم) ← الكلام ← القراءة ← الكتابة

منذ ثمانية قرون قال المفكّر " **ابن خلدون**" السمع أبو الملكات اللسانية" وهذه العبارة تعني أن السّمع أهم فنون اللغة ومهاراتها على الإطلاق فالاستماع ضروري لظهور بقية الملكات فيما بعد.

وقد أكّد علماء التشريح حديثا أنّ جهاز السمع أدق وأرهف وأرقى من جهاز البصر فالإنسان يستمع إلى الصوت فيعرف إن كان صاحبه غاضبا أم عاتبا وسعيدا أم حزينا، كما يستطيع سماع صوت صادر من عبيد في حين لا تستطيع العين اختراق الأستار لتبصر ما وراءها مهما يكن قربها،

ونظرا لأهمية ودقة هذه الملكة، يجب علينا أن ندرّب أطفالنا على الفهم في ضوء معايير ثابتة، باعتباره شرطا أساسيا للنمو اللغوي فالطفل يبدأ في التعرف على الأصوات المحيطة به ثم يبدأ في نطق أولى الكلمات، ثم يبدأ مرحلة استخدام الحصيلة المسموعة لديه (الأصوات والكلمات) في عمليتي القراءة والكتابة بعد ذلك.

ولا عجب أنْ يكون للاستماع دوره المهم في نمو اللغة والفكر، ولكيْ يزداد الفهم يجدر تصّور العلاقة بين الحواس والذاكرتين: طويلة المدى وقصيرة المدى، فلا خلاف على أن الطفل يولد مزوّدا الحواس وأن أهمّها جميعا هي حاسة السمع، حيث يحيا الطفل مستقبلا للأصوات ومرسلا للغة منطوقة ثم مكتوبة، وهي ممارسة تراعي النضج الإنساني، وبخاصة النموّ اللغوي العقلي – أيْ الفهم والإدراك– دون فصل بين العقل واللغة ولا بين اللغة والعقل.

ويمكن تفسير أهميّة فهم المسموع من خلال المبادئ الآتية:

1. اللغة تبدأ من المعاني – من الداخل– أول الأمر.
2. اللغة ليست مجرّد أصوات وإنما هو إرسال للمعاني.
3. الاستقبال اللغوي ليس مجرّد استقبال مجلوبات الحواس وإنما هو استقبال للمعاني
4. اللغة تبدأ منذ الاستماع الأول للطفل وهذا الاستماع مصدر للمعاني في عقله.
5. الحواس أمور لا غنى عنها في اللغة.

واللغة أساسا هي معاني متصّورة قبل كونها مبانٍ، تقوم على منطق الفكر والعقل والتصوّر، وبالتالي فإن اللغة تبدأ قبل عملية النطق بكثير أي تبدأ استماعا منذ الميلاد، لتستقر في عقل الإنسان في مكان متصوّر "الذاكرة طويلة المدى" لتعمل بعد ذلك " الذاكرة قصيرة المدى" على إثارة المعاني الداخلية فنختار الصوت المناسب لتظهر اللغة منطوقة أو مكتوبة

فبديهي – إذن– أنّ الفهم – فهم المسموع– أسبق من الحديث والقراءة والكتابة.

2– ملكة إنشاء اللغة:

تتجلّى أهميّة ملكة الحوار (التحدث) في أنها تحدّد مدى قدرة الفرد على اكتساب المواقف الإيجابية عند اتصاله بالآخرين حيث يتكوّن موقف الحديث من المتحدث الذي يحاول نقل فكرة معينة أو طرح رأي محدّد، أو موضوع بعينه، ويُعِد هو الطرف المعني بالحديث والمستمع له والظروف المحيطة بموقف الحديث سواء أكانت هذه الظروف مادية أم معنوية، ونقل ابن عبد ربّه في العقد الفريد عن بعض الحكماء قوله لابنه: "يا بني تعلّم حسن الاستماع كما تتعلّم حسن الحديث"

فلا شكّ–إذن– أنّ الكلام أو التحدث من أهمّ ألوان النشاط اللغوي للكبار والصغار على حدّ السواء، فالنّاس يستخدمون الكلام أكثر من الكتابة في حياتهم، أيْ أنهم يتكلّمون أكثر مما يكتبون، ومن هنا يمكن اعتبار الكلام هو

الشّكل الرئيسي للاتصال اللغوي بالنسبة للإنسان ، ولهذا يعتبر الكلام أهمّ جزء في الممارسة اللغوية واستخداماتها.

وعملية الكلام أو التحدّث ليست حركة بسيطة تحدث فجأة وإنّما هي عمليّة معقّدة وبالرّغم من مظهرها الفجائي إلاّ أنّها تتم في عدة خطوات:

استشارة – تفكير ⟵ صياغة – نطق

مــع العلم أنّ المتحــدّث الجيّد هـو الـذي يتحـدث عـن شيء يعرفه تمام المعرفة بل ويهتم به أيضا –وفق النظرية الوظيفية– وهذا أساس كلّ محادثة ومناقشة وغير ذلك من الأنشطة الوظيفية في التعبير ، باعتبارها نقل الفرد لما يدور في الأذهان إلى الآخرين بوساطة وسيلة تسمّى «اللغة ».

ولهذا الشكل تتكون القدرة على التعبير عن المشاعر الإنسانية والمواقف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية... إلخ بطريقة وظيفية أو إبداعية مع سلامة النطق وحسن الإلقاء، لكن السؤال هاهنا: كيف تنشأ اللغة ؟

* لا بُدّ أن يكون هناك مثير يثير رغبة المتكلّم في الكلام، كأن يُعلّق على حديث شخص أمامه، أو يردّ على سؤال طرح عليه، أو ينفعل الأديب بفكرة فيزيد التعبير عنها... وهكذا نرى ضرورة وجود مثير في البداية.

* بعد وجود الدافع، يبدأ الإنسان في التفكير فيما سيقول، فيجمع الأفكار ويرتّبها، ويعود إلى مصادره ومراجعه المعرفية المناسبة لضمان الترتيب العلمي المنطقي المقنع وإلا جاءت جوفاء خالية من كل معنى.

* بعد الاستثارة والتفكير تأتي مرحلة الصياغة أي انتقاء الرموز؛ من ألفاظ وعبارات وتراكيب مناسبة لمحتوى الكلام ولنوع المستمعين وانتقاء الالفاظ والأسلوب للتعبير عن الأفكار.

* بعد العمليات الداخلية السابقة يظهر الشكل الخارجي للتعبير، فتظهر لغة الفرد بعناية محدّدة تراعي الزمن والمكان والموضوع ونوعية التغيرات المطلوب إحداثها في المستمعين.

فبديهي –إذن– أنّ الاستماع والتحدث يكونان قبل القراءة والكتابة، لأن اللغة المنطوقة بطبيعتها لغة مواقف: فيها الفعل وفيها الفكرة، ومنه تعدّ ملكة إنشاء اللغة مقدمة طبيعية للتعبير المبني على التفكير وسرعة الربط بين المعاني والأصوات